



معهد الدراسات الإسماعيلية

العنوان: المسيح والمسيحيين والمسيحية في فكر إخوان الصفا

المؤلف: الدكتور عمر علي- دي- أونزاغا

المصدر: العلاقات بين المسيحيين والمسلمين. المراجع التاريخية. المجلد ٢ (٩٠٠-١٠٥٠)، تحرير. ديفيد توماس وآخرون. (ليدن: إي. جي. بريل، ٢٠١٠)؛ تاريخ العلاقات بين المسيحيين والمسلمين، ١٤؛ الصفحات ٣٠٦-٣١١.

الناشر: إي. جي. بريل
أعيد نشر المقال بإذن من الناشرين.

تم الحصول على حقوق النشر من الناشر المذكور.

إن استخدام المواد الموجودة على موقع معهد الدراسات الإسماعيلية يشير إلى القبول بشروط معهد الدراسات الإسماعيلية لإستخدام هذه المواد. كل نسخة من المقال يجب أن تحتوي على نفس نص حقوق النشر التي تظهر على الشاشة أو التي تظهر في الملف الذي يتم تحميله من الموقع. بالنسبة للأعمال المنشورة فإنه من الأفضل التقدم بطلب الإذن من المؤلف الأصلي والناشر لإستخدام (أو إعادة استخدام) المعلومات ودائماً ذكر أسماء المؤلفين ومصادر المعلومات.

المسيح والمسيحيين والمسيحية في فكر إخوان الصفا

الدكتور عمر علي- دي- أونزاغا

هذه نسخة إلكترونية من مقال 'إخوان الصفا' التي ظهرت للمرة الأولى في تاريخ العلاقات بين المسيحيين والمسلمين. المراجع التاريخية: المجلد ٢ (٩٠٠-١٠٥٠)، تحرير. ديفيد توماس وآخرون. (لندن: إي. جي. بريل، ٢٠١٠)؛ تاريخ العلاقات بين المسيحيين والمسلمين، ١٤؛ الصفحات ٣٠٦-٣١١. أعيد نشر المقال بإذن من الناشرين.

الكلمات الرئيسية: إخوان الصفا، رسائل، الإسماعيليون، المسيح، المسيحيون، الأنجيل، العلاقات بين المسلمين والمسيحيين.

إخوان الصفا كان الاسم الذي استخدمه مجموعة من المؤلفين مجهولي الهوية والذين ألفوا ٥٢ رسالة في مختلف التخصصات بعنوان 'رسائل إخوان الصفا وعلان الوفا'. لا يعرف تاريخ هذه الرسائل ومن المؤكد أنها اكتملت في حوالي منتصف القرن العاشر. كتب أبو حيان التوحيدي، في عام ٩٨٠، يصفهم بأنهم مجموعة من المتقنين مقرهم في البصرة في منتصف القرن العاشر، وكان قد سماهم في كتابه 'كتاب الإمتاع'. إلا أن ماركيه والحمداني قد تبنا نظرية بديلة تقول بأن الرسائل، أو على الأقل الشكل الأصلي منها، قد نشأت لدى قادة الحركة الإسماعيلية في القرن التاسع، والذين كانوا يختبئون من اضطهاد العباسيين في سوريا.

ينقسم العمل إلى ٥٢ رسالة، مرتبة في أربعة أقسام (العلوم التمهيدية بما في ذلك الرياضيات، المنطق والموسيقى والأخلاق؛ العلوم الطبيعية؛ علوم النفس والفكر؛ العلوم اللاهوتية). اشتملت على ١٩٠٠ صفحة في طبعة بيروت ١٩٥٧. ويمكن القول إن الرسائل هي واحدة من أكثر الأعمال المثيرة للاهتمام في الثقافة العربية الإسلامية فيما يتعلق بالمسيحية. كان موقف إخوان الصفا من المسيحية متماشياً مع احترامهم لجميع الأديان: وبالنسبة لهم، فالحقيقة واحدة وهي متضمنة في الوحي كما هو الحال في الفلسفة (والهدف من كل منهما نفسه- عملية تنقية الروح من المادة)، وتبدو الاختلافات بين الأديان فقط على مستوى الممارسة والثقافة. فهم إخوان الصفا النبوة على شكل سلسلة من التعديلات للحقيقة الداخلية نفسها لأزمنة متغيرة، مع فكرة التقدم، حيث أن كل وحي يلغي ممارسة الطقوس، ولكن ليس جوهر سابقتها. يوجد هناك في الرسائل المنتشرة، عناصر ومراجع واقتباسات ذات صلة بالمسيحية، والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات: الإنجيل، والمسيح، والمسيحيين ومعتقداتهم.

الأنجيل: قبل إخوان الصفا حقيقة الكتب السماوية السابقة، ولقد حظيت الأنجيل بمكانة شرف بين هذه الكتب المقدسة. يشجع إخوان الصفا القراء على قراءة الإنجيل، حيث تظهر الرسائل مستوى عال من الوعي والمعرفة الدقيقة عنها، ويبدو أنها تفضل إنجيل يوحنا. لقد طُبّق نفس الأسلوب التفسيري (الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتأويل الإسماعيلي) على كل من الأنجيل والقرآن والكتب المقدسة الأخرى. تفترض الرسائل بأن لكل من شعب التوراة وشعب الإنجيل وشعب القرآن وصايا وتعاليم وأمثال مختلفة، ولكن هذه كلها تمثل اشارات رمزية لتذكير الأرواح بما قد نسيته فيما يتعلق بأصلها ومعناها.

ذُكرت الأنجيل في الرسائل مرات عديدة، كما وهناك عدد من الإقتباسات من أقوال المسيح؛ بعضها استشهادات مباشرة من الأنجيل، وبعضها الآخر يذكر بالأنجيل (بما في ذلك الإنجيل المحرف)، في حين أن البعض الآخر كان أكثر توافقاً مع القصص القرآنية عن المسيح، وأخيراً فإن بعضاً من الأقوال المذكورة لم يكن لها مرجعية في أية من المصادر المسيحية الباقية. كما وذهبت الرسائل إلى أبعد من ذلك حيث تذكر بأنه يقال أن قراءة آية من الإنجيل تحمي من المخاطر كما هو الحال عند قراءة آية من القرآن أو التوراة.

المسيح: يحتل المسيح مكانة بارزة في الرسائل، بإعتباره واحداً من النماذج التي تجسد وجهات نظر إخوان الصفا: الإيمان بخلود الروح والسعي لتنقية الروح من المادة من خلال التحرر من مملكة الجسد. وفي هذا الصدد، يتم الإشارة إلى حياته وتعاليمه وموته وصلبه. وفي بعض المناسبات، يقتبس المؤلفون أيضاً أقوال المسيح جنباً إلى جنب مع الآخرين، مثل محمد وسقراط. يعتبر استخدام المسيح للأمثال ذو صلة مع مفهوم إخوان الصفا عن اللغة الدينية بإعتبارها أساساً رمزياً واستعارياً. تذكر حياة المسيح أساساً كقصص في الإنجيل، من خلال ذكر تعاطيه مع الحواريين، و وعظه، ومعجزاته، وإعتقاله، وصلبه وقيامته.

إن أهم عنصر في تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين حتى الآن، هو تفسير إخوان الصفا لصلب المسيح. وعلى عكس معظم المعلقين المسلمين، الذين يميلون إلى تفسير الآية ٤: ١٥٧ على أنها تعني أن شخصاً آخر غير المسيح هو الذي قُتل، يؤكد مؤلفو إخوان الصفا على أن المسيح قد مات على الصليب. ومع ذلك، فهم يؤكدون على أن من قُتل لم يكن سوى حضوره الإنساني (ناسوت). فالخدعة التي سقط فيها اليهود، والتي يشير إليها القرآن، هو إعتقادهم أنهم قتلوه حقاً. ينكر إخوان الصفا هذا، لأن الكينونة الروحية (لاهوت) الحقيقية للمسيح قد استمرت، لأن الروح أبدية، ولا يمكن أن تقتل. يتناغم تفسيرهم للآية مع نظرتهم للعالم ومفهومهم عن الروح. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى شيئين. أولاً، يعود أصل مصطلحي 'الناسوت' و'اللاهوت' في النقاشات المسيحية إلى اللاهوت والإنسانية في شخص المسيح، وإن استخدامهم لهذه المصطلحات في الرسائل ربما يظهر تأثيرهم بالنسبورية. ثانياً، تتزامن قراءة إخوان الصفا مع غيرهم من الكتاب الإسماعيليين الآخرين، ومن بينهم أبو حاتم الرازي الذي لم يكن لديه أية صعوبة في قبول فكرة صلب الجسد، فهذا من وجهة نظرهم يظهر تفوق العالم الروحي على العالم المادي. توجد أيضاً نقطتين أخرتين لتبسيط الضوء على التقارب الذي يشعر به إخوان الصفا مع المسيح. الأول هو تصور المسيح على أنه المعالج الروحي، والقادر على علاج النفوس المريضة من العمى عن الحقائق الروحية، وهذا يتطابق مع الهدف المعلن للرسائل نفسها. كذلك تصور المسيح كمبشر يعمل على مساعدة من اتبعه؛ وبنفس الأسلوب، يعتبر المؤلفون أنفسهم حركة واسعة للمواظبة بين الدين والفلسفة بهدف التنقيف والنهوض بالحالة الروحية لمعاصريهم.

المسيحيون: يُعجب إخوان الصفا بموقف الرهبان المسيحيين نحو هذا العالم، والإمتناع عن الملذات وتكريس حياتهم للتأمل في خلود الروح. أشادوا بالرهينة (ترهب) بأنها 'الطريق المسيحية'، بقدر ما مدحوا التزهد والتصوف والتأمل في المسائل الإلهية للمدرسة السقراطية ودين الحنفاء. لقد وصفوا الشخص المثالي (وصفاً) يحتوي على سلسلة من الصفات المتعلقة بمناطق أو مجموعات معينة، من بين أمور أخرى، 'كالمسيحي في السلوك والسوري في التفاني'. ليس هناك شك في أن إخوان الصفا كانوا قد عرفوا المسيحيين بشكل جيد للغاية. أشار إخوان الصفا إلى النسبورية واليعقوبية والملكيين من بين الطوائف المسيحية المختلفة. كما وذكروا التسلسل الهرمي للكنيسة بأنها تتألف من الرهبان (المفرد راهب) والقسيسين (المفرد قس) والشمامسة (المفرد شماس).- بهذا الترتيب- مطارنة (المفرد مطران) والبطاركة (المفرد بطريرك)، والذين يصنفون كأناس ينبغي أن لا يقتلوا في الحرب. كان إخوان الصفا كذلك على دراية بالأجواء داخل الكنائس، والتي وصفوها بأنها 'مضاءة بمصابيح شمعية، مزخرفة بالصور، مليئة بالصلبان'، وفيها 'يرتدي القسيسون والرهبان رداءات من الصوف الخشن'، ويربطون الأحزمة حول خصورهم، تتأرجح المباخر بأيديهم، وينشرون البخور المعطر 'بالقرفة البيضاء واللبان'، يقرؤون كلمات في الثناء على الله و'يرددوها مراراً وتكراراً'. هذا كله وصف كأنك تراه في حلم، حيث تبدو 'مجموعة من الأساقفة' تحمل كؤوساً مملوءة بالنبيذ، ويحملون في قطع من القماش الأرغفة المقدسة 'التي يقسموها للناس ويجعلوهم يتذوقون من ذلك النبيذ'.

المعتقدات المسيحية: على الرغم من أن الموقف العام تجاه المسيحيين إيجابي إلى حد كبير، يوجد هناك نقاط متعلقة بالإيمان لا يوافق عليها إخوان الصفا. إذ يرفضون موقف الرهبان الذين يغمسون في البؤس والمعاناة في ممارسة التقشف. وهناك انتقاد مستمر للإيمان بالثالوث، وكذلك لأكل لحم الخنزير وعبادة الصليب. وتدين الرسائل أيضاً أولئك الذين يؤمنون بأن إلههم هو الروح القدس الذي كانت ناسوته هي المصلوبة من قبل اليهود.

تكمن أهمية الرسائل الرئيسية بالنسبة للعلاقات بين المسيحيين والمسلمين في القبول الذي تظهره بعالمية الإنجيل ورسالة المسيح. وعلاوة على ذلك، التفسير الذي تقدمه للآية القرآنية عن صلبه، إذ يمكن أن يمثل هذا أرضية مشتركة خصبة بين المسيحية والإسلام، وخصوصاً في الكثير من تفسيراتها الباطنية، نظراً لفلسفتها وقبولها بالوفاة التاريخية الفعلية للمسيح.

المراجع

'المزيد من المعلومات عن المراجع يرجى الإطلاع على النسخة الإنكليزية'

المخطوطات

يوجد هناك أكثر من مائة من المخطوطات المفهرسة من الرسائل.

توجد أقدم مخطوطة مؤرخة في اسطنبول، مكتبة عاطف أفندي- ١٦٨١ (١١٨٢)، انظر ا. ك. بنوالا، 'لماذا نحن بحاجة إلى الطبعة العربية المنقحة مع ترجمة إنجليزية مشروحة لرسائل إخوان الصفا'، في كتاب البزري، 'إخوان الصفا ورسائلهم، ٣٣-٥٧)

لرؤية المخطوطات الأخرى انظر:

http://www.musicologie.org/publire/jmw/notices/ikhwan_alSafa.html

J.-M. Warszawski, *Dictionnaire des écrits sur la musique*, ٢ vols, Berne, ٢٠٠٥

طبقات وترجمات

لقد ترجمت معظم الرسائل إلى مجموعة متنوعة من اللغات، ولكن ليس هناك ترجمة شاملة.

حالياً هناك خمس طبقات دون تمحيص، مشابهة جداً لبعضها البعض :

تحرير 'ع. تامر، بيروت، دار النشر الجمعية، ١٩٩٥

قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٩٨٥

تحرير ب. البستاني، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧

تحرير ك. د. الزركلي، القاهرة، المكتبة الطبية الكبرى، ١٩٢٨

تحرير ن. د. الكتبي، بومباي، مطبعة نكبات الأخبار ص ١٨٨٨

ويجري نشر طبعة نقدية كاملة جديدة وترجمة انكليزية للرسائل من قبل منشورات جامعة أكسفورد بالتعاون مع معهد الدراسات الإسماعيلية 'كسلسلة من رسائل إخوان الصفا'.